نظرات حول سورة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

(دراسة وتحليل)

إعداد الدكتور

عبد الجواد خلف محمد

الْحَمْدُ لِلَّه الَّذي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْده الْكتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عوَجًا * قَيِّمًا لِّيُنذرَ بَأْسًا شَديدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمنينَ الَّذينَ يَعْمَلُونَ الصَّالحَات أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا *مَّاكثينَ فيه أَبَدًا * وَيُنذرَ الَّذينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا * مَا لَهُم به منْ علْمٍ وَلَا لآبَائهمْ كَبُرَتْ كَلمَةً تَخْرُجُ منْ أَفْوَاههمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذبًا.

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على المبعوث بدعوة التوحيد رحمة للعالمين ، من أرسله ربّه متممًا لرسالة إخوانه من النبيين ، فختم به الدين ، ووحّد به ملّة الرسل، وأزال به الكفر، واستأصل به شوائب الشرك ،وحطَّم به طواغيت البشرمن أصنام منحوتة، وآلهة أدعياء مزيفة.

وبعد: فإن سورة الأنبياء من أواخر سور القرآن الكريم عهدا بالنزول فى مكة حيث استمر صراع النبىّ محمد ﷺ مع قومه ثلاث عشرة سنة، يدعوهم إلى الإيمان بالله الواحد الذى أرسله لهدايتهم ، وأمره أن يرشدهم إلى خالقهم ، رحمة بهم ، وشفقة عليهم من ذُلّ الدنيا ، وعذاب المصير.

لكنهم تعلقوا بأرباب لا تملك لهم ـ ولا لنفسها ـ نفعًا ولا ضَراً ، لمجرد أنهم ورثوا عبادتها عن آبائهم وأجدادهم ؛ فآمنوا بها إيماناً تمكن من نفوسهم، واعتقدوا فيها اعتقاداً يدفعهم إلى محاربة من يذكرها بسوء.

فكانت هذه السورة الكريمة قريبة من نهاية هذا الصراع الذى استمر طويلاً.

وعادة ما تكون الأمور قبيل نهاية الصراع بين الحق والباطل واضحة الرؤى ، حيث تخبو حجج الباطل شيئاً فشيئاً ، وتزهو حجج الحق مكانها بعكس الدرجة التى خبت بها .

ولكن أهل الباطل فى قضية الصراع على « الإيمان بوجه خاص » يلجئون دائما إلى القوة والعنف إذا أحَسوا بإفلاسهم ، وأنهم قاب قوسين أو أدنى من الهزيمة ، رغم البراهين الساطعة ، والأدلة الحاسمة التى لاتقبل جدلاً، ولا تحتمل نقاشاً ، فتقترب نهاية كل نبيٍّ بمأساة، إما بالتدبير لحرقه، أو بالتدبير لقتله ؛ وعندئذ يؤمر النبى بالهجرة إلى بلد آمن ، ومكان يجد فيه العوض والسلوى، ويحاط أمر هجرته بكامل الحِفظ والرعاية حتى يبلغ مهجره ، فإذا تَمّ ذلك أنزل الله بأسه بالظالمين .

وهذا هو موضوع سورة الأنبياء وهو موضوع القرآن المكىّ كلّه .

ولا أريد أن أستبق القارئ وأسترسل فى الكلام على السورة وما تحتويه، فهذا شأن أتركه له .

أسأل الله -عزوجل -أن ينفعنا وإياه بالقرآن ، وأن يجعله لنا هداية ، وبركة ورحمة .

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى إخوانه النبيين ، بلغوا الرسالة ، وأدّوا الأمانة، ونصحوا أممهم ، وعانوا فى سبيل نصحهم أشدّ العناء فكانوا نبراساً لكل داعية يحمل كلمة حَقٍّ فى صراع ضدّ باطل.

د/ عبدالجواد خلف

بسم الله الرحمن الرحيم

توطئـــــة

مبحث فى تسمية السورة

* كـاد المعنيـون بعلوم القـرآن الكريم أن يتفـقـوا على أن أسـماء سـور القرآن الكريم توقيف من الله تعالى لنبـيه الكريم بعد أن وقع الاتفاق على أن ترتيب آياته توقيفية[1] .

* وسمـيت هذه السـورة الكريمة بـ « سورة الأنبـياء » لأن ذكـر ثمانيـة عشر نبيًا فيـها مع أوصافهم الخُلقيّة ومحاجـة أممهم لهم هى أبرز مافى هذه السـورة الكريمة ، مع ختـمهم بذكر من أحـصنت فرجـها« مريم » أم عيسى النبى عليه السلام وأخـتها «أشياع» بنت عمران زوج زكريا عليه السلام .

وقد تميـزت السورة بذكـر الأنبياء اثنين اثنين فى الغـالب الأعم على النحو التالى :

١- فـــى الآيـــة (٤٨)﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴾.

٢- فـــى الآيـــة (٧١) ﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾.

٣- فى الآية (٧٢) ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ﴾.

٤- فى الآية (٧٨) ﴿ وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ ﴾.

٥- فى الآية (٩٠) ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ ﴾.

---

(١) الإتقان للسيوطى ١/ ٥٢ .

٦- فى الآية (٨٥) ﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ ﴾.

ولقد جرى القرآن الكريم فى تسمية السور بأبرز وأشهر ما اشتمل عليه كل منها على ماجرى عليه العرب فى تسمية قصائدهم الطويلة بما هو شهير فيها.

يقول « الزركشى » فى « البرهان » :

« ينبغى النظر فى وجه اختصاص كل سورة بما سميت بهَ ، ولا شك أن العرب تراعى فى الكثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون فى الشئ من خَلْق أو صفة تخصه أو تكون معه أحكم أو أكثر أو أسبق لإدراك الرائى للمسمى ويسمون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها، وعلى ذلك جرت أسماء سور الكتاب العزيز كتسمية سورة البقرة بهذا الاسم لقرينة ذكر قصة البقرة المذكورة فيها، وعجيب الحكمة فى قصتها؛ وسميت سورة النساء بهذا الاسم لما تردد فيها لكثير من أحكام النساء » (١).

وإذا كان بعض السلف قد كَره أن يقال : سورة البقرة ، وسورة آل عمران ، وسورة الأنبياء ، وإنما يقولون : السورة التى يذكر فيها البقرة، أو يذكر فيها النساء،أو يذكر فيها الأنبياء مستدلين على ذلك بما أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان عن أنس رضى الله عنه قال :

« لا تقولوا سورة البقرة ، ولا سورة آل عمران ، ولا سورة النساء ، وكذلك القرآن كله ، ولكن قولوا : السورة التى يذكر فيها البقرة، والسورة التى يذكر فيها آل عمران ، وكذلك القرآن كله »(٢) .

وقد رد على هذا بأن :

---

(١) البرهان للزركشى ١/ ٢٧٠.

(٢) مباحث فى مبهمات القرآن الكريم (سورتى الفاتحة والبقرة) د/ عبد الجواد خلف ص ٥٩.

١- هذا الحديث غريب لا يصح رفعه، وفى إسناده يحيى بن ميمون الخواص وهو ضعيف الرواية لا يحتج به ؛ قاله ابن كثير[١] .

٢- المروى عن جماعة من الصحابة يفيد عدم كراهة ذلك، وقد نقل عنهم من ذلك الكثير فيما أخرجه أصحاب السنن نختار منها ما يلى:

أ- أخرج الحاكم النيسابورى على شرط الشيخين عن حذيفة رضى الله عنه قال : « صليت مع رسول الله ﷺ ليلة من رمضان فافتتح « البقرة» ، فقلت : يصلى بها فى ركعة ، ثم افتتح « آل عمران» فقرأها مترسلاً » .

ب - أخرج أحمد فى مسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت :

« كنت أقوم مع رسول الله ﷺ فى الليل فيقرأ ، البقرة ، وآل عمران، والنساء » [٢].

مبحث فى: مكان النزول:

* ذكر السيوطى فى الدر المنثور الروايات النقلية فى أن سورة «الأنبياء» ، نزلت كلها فى مكة وعدد آياتها اثنتا عشرة ومائة آية ، على النحو التالى :

(١) أخرج البخارى وابن مردويه عن ابن الزبير قال :« نزلت سورة الأنبياء بمكة».

(٢) وأخرج النحاس ، وابن مردويه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال:

« نزلت سورة الأنبياء بمكة»

(٣) وأخرج البخارى ، وابن الضريس عن ابن مسعود رضى الله عنه ، قال :

---

(١)مباحث فى مبهمات القرآن الكريم ص ٥٩.

(٢) مباحث فى مبهمات القرآن الكريم ص ٥٩.

« بنو إسرائيل ، والكهف ، ومريم ، وطه ، والأنبياء : هن من العتاق الأول، وهنّ من تلادى» [1].

والمعنى : أنها من القرآن المكى مما حفظه قديما .

*كما نقل السيوطى فى« الإتقان» . عن ابن الضريس أن سورة «الأنبياء» تأتى الثانية والسبعين فى ترتيب نزول السور المكية وهى خمس وثمانون سورة ، أولها ﴿ اقرأ باسم ربك الذى خلق ﴾ وآخرها ﴿ويل للمطففين﴾.

وهذا الترتيب أخرجه ابن الضريس بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما [2].

* وعلم معرفة « المكى والمدنى » من العلوم الهامة فى الكشف عن مراد الله تعالى بحسب الطاقة البشرية سواء أكان لعلم التفسير، أم لاستخراج واستنباط الأحكام، إذ به يعرف مانزل منه أولا، وما نزل آخراً، ومن ثَمّ يعرف به الناسخ من المنسوخ .

ولهذا اهتم به علماء التفسير من الصحابة كعلى ، وابن مسعود، وابن عباس رضى الله عنهم جميعا.

فقد أخرج البخارى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال :« والله الذى لا إله غيره مانزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت ، وأين نزلت.» [3].

*كما أنه هام فى تعليم الدعاة أساليب الدعوة وطرقها، وفى عرض قضية الإيمان والدعوة إليه، وفى طريقة التوجيه الإلهى للاستفادة من النواميس الكونية، والبراهين والأدلة التى تقدمها السور المكية، وتدريب

(١) الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ١٦/ ٦١٥.

(٢) الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى ١/ ٢٦-٢٧.

(٢) المصدر السابق.

الدعـاة على الصبـر والجلد فيـمـا تقدمـه هذه السور الكريمة من خـلال عرضهـا لقصص الأنبيـاء وكفاحهم مع أممهم التى أُرسلوا إليـها وطرق محاجّتهم لهذه الأمم .

*لذا فإنه من المفيد أن نعرف ضـوابط ومميزات « القرآن المكى» بصفة عامة، ثم نبين ضوابط ومميزات « سورة الأنبياء» بصفة خاصة .

مبحث فى: ضوابط القرآن المكى، وخصائصه:

أولاً : ضـوابط القـرآن المكى : ويعنى بها : العـلامات الظاهرة سواءً كـانت لفظاً أو معنـى » ، وهذه العلامـات التى يعـرف بها المكى إمـا أن تكون مطردة (صحيحة) أو غـير مطردة (يعنى فى الغالب الأعم) وقد تتخلف فى بعض السور.

وهذه العلامات هى:

(١) كل سـورة فيـهـا « آية سجـدة» فـهى سورة مكـية ، ولا يوجـد فى أى سورة مـدنية آيـة سجـدة مـاعدا سـورة الحج فيـمـن قـال إنها مدنيـة كالسـيوطى « فى الـدر المنثور[1]، بينمـا عـدّها السـيـوطى مكـية [2] مـن روايـة النحـاس فى « الإتقان»[3] .

وهى أربع عشرة آية موجودة فى ثلاث عشرة سورة هى :

١- فى الأعـراف : واحـدة - الآية ٢٠٦- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴾.

٢- وفى الرعـد : واحدة - الآية ١٥- ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ ﴾ .

---

(١) الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٦/ ٣.

(٢) الإتقان فى علوم القرآن ١/ ٢٤ فى رواية أبى جعفر النحاس عن ابن عباس رضى الله عنهما.١/ ٣٢.

(٣) الإتقان للسيوطى ١/ ٤٧.

٣- وفى النحل : واحدة - الآية ٤٩-٥٠ ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلائِكَةُ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ * يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ .

٤ - وفى الإسراء : واحدة - الآية ١٠٩ - ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾.

٥- وفى مريم : واحدة - الآية ٥٨ - ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ .

٦- وفى الحج : اثنتان : الآية ١٨- ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ .

- والآية ٧٧- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾.

٧ - وفى الفرقان : واحدة - الآية ٦٠-﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴾.

٨- وفى النمل : واحدة : الآية ٢٥ - ﴿ أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾.

٩- وفى السجدة : واحدة : الآية ١٥ - ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾.

١٠- وفى فصلت : واحدة - الآية ٣٧، ٣٨ ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ *فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لا يَسْأَمُونَ ﴾.

١١- وفى النجم : واحدة : الآية ٦٢ - ﴿ أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ * وَتَضْحَكُونَ وَلا تَبْكُونَ * وَأَنتُمْ سَامِدُونَ * فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا* ﴾.

١٢- وفى الانشقاق : واحدة : الآية ٢١ - ﴿ فَمَا لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لا يَسْجُدُونَ * ﴾.

١٣- وفى العلق : واحدة - الآية ١٩ - ﴿ كَلاَّ لا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ* ﴾.

(٢) كل سورة فيها كلمة (كلاّ) فهى مكية [١]، وهذه أيضا صحيحة ومطردة فلا يوجد فى السور المدنية هذه الكلمة ، وإنما ذكرت ثلاثا وثلاثين مرة فى خمس عشرة سورة مكية هى :

١- فى مريم : اثنتان :- الآية -٧٩ - ﴿ كَلاَّ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴾.

- والآية - ٨٢ - ﴿ كَلاَّ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾.

(١) الإتقان للسيوطى ١/ ٤٨.

٢- وفى المؤمنون : واحـــدة - الآية ١٠٠ - ﴿ كَـلاَّ إِنَّهَـا كَلِمَـةٌ هُوَ قَائِلُهَا ﴾.

٣- وفى الشعـــراء:اثنتـان-الآية ١٥ - ﴿ كَلاَّ فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَـعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴾.

- والآية ٦٢ - ﴿ كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ .

٤- وفى سبـأ : واحـدة - الآية ٢٧ - ﴿ قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَـقْـتُم بِهِ شُرَكَاءَ كَلاَّ ﴾.

٥- وفى المعارج : اثنتان - الآية ١٥ - ﴿ كَلاَّ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴾.

- والآية ٣٩ - ﴿ كَلاَّ إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴾ .

٦ - وفى المدثـر : أربـع- الآيـة ١٦ - ﴿ كَـلاَّ إِنَّهُ كَـانَ لآيَاتِنَا عَنِيداً ﴾.

- والآية٣٢- ﴿ كَلاَّ وَالْقَمَرِ ﴾

- والآية ٥٣ - ﴿ كَلاَّ بَل لاَّ يَخَافُونَ الآخِرَةَ ﴾.

- والآية ٥٤ - ﴿ كَلاَّ إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ﴾.

٧- وفى القيـــامـة : ثلاث -الآية ١١- ﴿ كَـــــلاَّ لا وَزَرَ *إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِـــذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴾ .

- والآية ٢٠ - ﴿ كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴾.

- والآية ٢٦ - ﴿ كَلاَّ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴾.

٨- وفى النبأ : اثنتان : الآية ٤ - ﴿ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ ﴾ .

- والآية ٥ - ﴿ ثُمَّ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ ﴾.

٩- وفى عبس : اثنتان - الآية ١١ - ﴿ كَلاَّ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴾.
- والآية ٢٣ - ﴿ كَلاَّ لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ﴾.
١٠- وفى الانفطار : واحدة - الآية ٩ - ﴿ كَلاَّ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴾.
١١- وفى المطففين : أربع : الآية ٧ - ﴿ كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴾.
- والآية ١٤ - ﴿ كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾.
- والآية ١٥ - ﴿ كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ .
- والآية ١٨ - ﴿ كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴾.
١٢- وفى الفجر : اثنتان :- الآية ١٧ - ﴿كَلاَّ بَل لاَّ تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾.
- والآية : ٢١ - ﴿ كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴾.
١٣- وفى العلق : ثلاث - الآية ٦ - ﴿ كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ﴾ .
- والآية ١٥ - ﴿ كَلاَّ لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴾.
- والآية ١٩ - ﴿ كَلاَّ لا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾.
١٤- وفى التكاثر : ثلاث :- الآية ٣- ﴿ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾.
- والآية ٤ - ﴿ ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾.
- والآية ٥ - ﴿ كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴾.
١٥- وفى الهمزة : واحدة - الآية ٤ - ﴿ كَلاَّ لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴾

(٣) كل سورة يذكر فيها قصص الأنبياء إذا عالجت القصة موضوع التوحيد ودعوة أممهم إلى عبادة الله ، ونبذ الرذائل ؛ وهذه أيضا قاعدة صحيحة مطردة .

(٤) كل سورة انفردت بنداء الناس ﴿ يا أيها الناس ﴾ ، وليس فيها نداء المؤمنين ﴿ يا أيها الذين آمنوا﴾ فهى سورة مكية [١] وهى أربع سور: [الأعراف ، ويونس ، ولقمان ، وفاطر] .

وهى أيضا قاعدة صحيحة مطردة فى هذه السور الأربع .

* أما إذا اجتمع فى سورة « نداء الناس ونداء المؤمنين معاً فهى مدنية وكذلك إذا انفردت بنداء المؤمنين فهى مدنية كذلك .

(٥) كل سورة ذكرت فيها قصة آدم مع إبليس فهى مكية إلا سورة البقرة . وهى صحيحة مطردة فى باقى السور التى ذكر فيها آدم وإبليس وهى :

[الأعراف ، والإسراء ، والكهف ، وطه] .

(٦)- كل سورة تبدأ بالحروف المقطعة [٢](وتسمى حروف التهجى ، وحروف التحدى) فهى مكية ماعدا الزهراوين (البقرة وآل عمران) وهى قاعدة صحيحة ومطردة فى جميع السور التى وردت فيها وهى« خمس وعشرون سورة هى:

[الأعراف ، ويونس ، وهود ، ويوسف ، والرعد ، وإبراهيم ، والحجر، ومريم، والشعراء ، والنمل ، والقصص ، والعنكبوت ، والروم ، ولقمان ، والسجدة، وص ، وغافر ، وفصلت ، والشورى، والزخرف ، والدخان ، والجاثية ، والأحقاف ، وق ، والقلم] .

ثانيا :خصائص القرآن المكى ومميزاته : وهى فى الأسلوب ،والأغراض :

(أ) أما الأسلوب : فإن أسلوب القرآن المكى يتميز بقصر الفقرات، والجزالة ، وقوة الجرس .

(ب) أما الغرض : فإن غرض القرآن المكى موجه أساساً إلى قضية

(١) الإتقان للسيوطى ١/ ٤٧ .

(٢) الإتقان للسيوطى ١/ ٤٨.

التوحيد وترسيخ عقيدة الإيمان بالله تعالى ، وما يستتبعه من الإيمان بالغيبيات كالملائكة، والبعث، والحساب، والجنة والنار، والصراط ، والميزان ، والأنبياء، والرسل وجهادهم مع أممهم .

والقرآن المكى يتناول ضرب المثل ، والقصص ، واستعمال التشبيه، واستغلال النواميس الكونية كالسماوات : وما فيها من نجوم وأفلاك ، وشموس، وأقمار ، والأرض : وما فيها من جبال، وبحار، ووديان كل ذلك لتثبيت الغرض الأساسى وهو التوحيد : وجوهره وحدانية الله تعالى .

كما تعالج الآيات المكية بعض العادات السيئة من خلال قصص الأنبياء مع أممهم، وتحث على اعتناق الأخلاق الفاضلة .

مبحث فى: ضوابط وخصائص سورة الأنبياء:

إن أهم ما تميزت به سورة الأنبياء من الضوابط المميزة - أى العلامات التى تؤكد على مكية السورة - هى ما حفلت به السورة الكريمة من ذكر جملة من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وما وهب بعضهم من عطايا الله عز وجل من ولد ، أو حكمة، أو علم، أو معافاة من بلاء، أو نجاة من كيد .

وكذلك مواجهة بعض هؤلاء الأنبياء لأممهم لترسيخ عقيدة التوحيد فى نفوسهم، وما يتعلق بهذه العقيدة من المهام الصعبة وهى إزالة كل رواسب الكفر وكل ما يتعلق به من الأخلاقيات الاجتماعية الفاسدة ليغرس فى مكانها غرس الإيمان بالله وحده لا شريك له وما يستتبعه من الإيمان بالغيبيات كالبعث ، والصراط، والميزان ، والجزاء ، والملائكة ، وتصديق الرسل والإيمان بما جاءوا به. ليكون كل ذلك تمهيداً لتحويل

مجتمع الأمة تحويلاً جذريا حتى يمكن بعد ذلك تلقى الأوامر والنواهى الإلهية وتنفيذها فى ضوء الإيمان اليقينى والطاعة الإرادية المؤمنة الواعية.

ولذلك فإن هذا الضابط المميز - ضابط القصص النبوى - الذى حفلت به سورة الأنبياء وخلافهم مع أممهم فى أزمنة طويلة سحيقة متباعدة حكتها السورة فى نظام متشابك عجيب الاختلاط يبدأ أحياناً من منتصفه عند زمن موسى وهارون، ثم يرجع القهقرى إلى زمن إبراهيم ولوط ، ثم يعود إلى زمن البشرية الأول أيام نوح، وفجأة يُطوى طيا إلى زمن داود وسليمان وأيوب، ثم يُخلط زمن النبوات ويُمزج مزجاً عجيبا فيذكِّر بإسماعيل وإدريس وذا الكفل، وكل واحد منهم بينه وبين أخيه مئات السنين ليختم بعد ذلك بأقرب الأزمنة إلى صاحب دعوة القرآن وأمته ليذكِّر بزكريا عليه السلام وزوجه « أشْيَاع بنت عمران » [1]. وابنهما « يحيى» ، وخالته « مريم ابنة عمران» التى أحصنت فرجها، ولم تدنسه بفاحشة ليقول فى ختام ذلك المزج الزمنى العجيب والبديع ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾[2] ليدلل على أن « سورة الأنبياء» ليست تاريخًا زمنيا لترتيب الحوادث ونصب الأشخاص كلٌّ حسب زمنه، ولكنها تقصد إلى إبراز الحوادث التى هى واحدة فى كل الأزمنة مهما تباعدت وامتدت، وفى كل الأمكنة مهما اختلفت وتعددت، ومجمل هذه الحوادث تتلخص فيما يأتى :

(١) **دعوة** : إلى الإيمان بالله تعالى وتحقيق مسار التجمع البشرى فى ملة واحدة يتحد فيها الوجود الإنسانى فى هدفه وغايته. وهى وحدانية الله تعالى .

---

(١) المعارف لابن قتيبة ص ٥٢ - غرر التبيان فيمن لم يسم فى القرآن ٣٤٤ .
(٢) ٩٢ الأنبياء .

(٢) **دعـاة**: وهم الرسل المكلَّفون بتوجيه البشرية بمعطيات الله لهم وهى : الكتب المنزلة، والآيات المعجزة الباهرة، والاستدلال بالبراهين القوية المتاحة فيما حولهم من الكون كالسماوات وما فيها ، والأرض وما عليها من جبال، وأنهار وما عليها من أناسى وماشاء مما خلق ، وممن خلق .

وهؤلاء الدعاة « الرسل» فى هذه السورة الكريمة هم :

(١) موسى وأخوه هارون عليهما السلام : أوتيا الفرقان، والضياء، والذكر كهذا الذكر المبارك المنزل على صاحب الرسالة الخاتمة محمدﷺ.

(٢) وإبراهيم عليه السلام : أوتى الرشد، وكمال العقل ليصرف أمته عما أصيبت به من السَّفَه فى التعلق بالأصنام والتماثيل من دون الله الواحد القهار فى حوار عقلى هادف وجاد تميز به إبراهيم عليه السلام تميزا واضحاً فى أكثر من موضع فى القرآن الكريم.

(٣) إسحاق وابنه يعقوب عليهما السلام : أئمة هداة، هبة الله لأبيهما إبراهيم بارك الله فيهم وأوحى إليهم فعل الخيرات، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة.

(٤) ولوط عليه السلام : أوتى الحُكْم والعلم لتهذيب أخلاق أمته وتطهيرها من داء استشرى بينها لأول مرة فى تاريخ البشرية وهو الانصراف عن مضاجعة النساء إلى مضاجعة الرجال عياناً جهاراً، وتغيير ما أراد الله تعالى من سنن الخلْق، وقطع النسل بإتيان الخبائث.

(٥) ونوح عليه السلام: بشائر النبوة الأولى لدعوة الخلق إلى عبادة الحق، فلما أصروا واستكبروا استكباراً أغرقهم الله تعالى ونجى نوحاً وأهله من الكرب العظيم .

(٦) وداود وابنه سليمان عليهما السلام : آتاهما الله الحكم والعلم وحسن الفصل فى القضاء وفض المنازعات ، وسخر لهما بقدرته مالم يسخره لنبى قبلهما ولا بعدهما .

فعلّم داود صناعة الدروع وألاَن له الحديد، وأعطاه القدرة على مشاركة الكائنات فى التسبيح بحمد الله بالأنغام الجميلة الحسنة. وسخر لسليمان الريح، والجن، وعلّمه لغات الطير والوحش .

(٧) وأيوب عليه السلام : نموذج العبد الصالح فى الصبر على البلاء، والرضا بالقضاء، والنجاح فى اختبارات المضرات فكشف الله عنه برحمته كل ضر، ورفع عنه كل بلاء ، وبقى اسمه ذكراً فى الغابرين، ومثلاً للمقتدين.

(٨) وإسماعيل ، وإدريس ، وذا الكفل عليهم السلام : ذكروا فى هذه السورة بطريقة مزج عجيبة إذْ لا رابط من الناحية الزمنية بين الأنبياء الثلاثة عليهم السلام .

فإسماعيل هو ابن إبراهيم عليهما السلام، وذكر هنا مع « ذى الكفل» عليه السلام. و« ذا الكفل» شخصية لا يعلمها إلا الله وحده، وغاية ما أتاحه الله لنا من علم حول هذه الشخصية أنه كان بعد زمن إسماعيل بمدة، و«إدريس عليه السلام » : نبيٌ من أنبياء الزمن الأول السحيق، قيل بعد نوح، لا يعرف إلا الله أمته التى أُرسل إليها.. وزمن إرساله، وكان أول من لبس المخيط من البشر .. وأول من زرع وصنع ؛ والبعض يزعم أنه « أوزوريس». الذى صاغ المصريون القدماء حوله الأساطير بوصفه معلم البشرية الأول لفنون الزراعة والصناعة. ولعلهم لاحظوا قرب العلاقة بين الاسمين؛ ولا يعلم حقيقة ذلك إلا علاّم الغيوب الذى خلق « إدريس». فى زمنٍ لا يعلمه إلا هو، ومكان يعجز غيره عن تحديده .

إلا أن الجامع المشترك بين هؤلاء الأنبياء الثلاثة الكرام إنما هى فضيلة «الصبر والصدق، والصلاح»، والدخول بسبب هذه الفضيلة تحت رحمة الله الخالق المدبر.

(٩) وذو النون وهو(يونسُ بن متى) عليه السلام: مثال الداعية الكريم الذى بذل أقصى ما عنده من جهد لإصلاح قومه ، فلما يئس من إصلاحهم خرج مغاضباً فارًا غير صابر عليهم لعله يجد عند غيرهم من القرى من يستجيب له - وهو إنما بعُث إليهم خاصة - فلما ركب البحر سلَّط اللّه عليه حوتًا فالتقمه فسمى « ذا النون» : أى صاحب الحوت .

وأجرى الله عزَّ وجل على « يونس» ابتلاءه جزاء استعجاله الضجر على قومه ببلع الحوت له، لولا أن اللّه ألهمه التسبيح وهو فى بطن الحوت لهلك إلى يوم البعث، ولكن الله نجّاه فنبذه الحوت من جوفه، فعاد إلى قومه ليكمل رسالته إليهم وليكون مثلاً وعبرة لكل داعية اختاره الله تتسرب إلى نفسه الملالة فيهمل أمر اللّه فى نفسه وقومه .

(١٠) وزكريا ، وابنه يحيى ، وزوجه عليهم السلام : مثال آخر لمعجزة أخرى ساقها الله فى أمثال النبوات للعالمين .

تتمثل المعجزة فى « زكريا» الزوج الصالح، وزوجه الصالحة « أشياع» بنت عمران « أخت مريم» .

الزوجان من أهل الله وخدّام على بيت من بيوته؛ لكنهما وحيدان لم ينجبا حتى بلغا مبلغ الشيخوخة والعجز ، والعقم.

ولكن « زكـرياء» النبيّ لم تغب عنه لـلحظة واحدة أن الـله وحده قـادر على خرق النواميس الكونية، وتحويل العقم المعجز للبشر، إلى خصوبة مذهـلة تحطم بمشيـئة الله كل مـستحيل ، فـيرفع « زكـرياء» النبيّ يديه بخـالص الدعـــاء : ﴿رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾(١). فيستجيب الله دعاءه، ويحـقق فى الكون معجزته، ويهبه الولد الوريث المبارك « يحيى النبيّ» السيد الحصور، أحد أنبياء الله الصالحين .

(١١) ثم يُختَـم ذكر الأنبيـاء بأقربهم عـهداً إلى « محـمد ﷺ » وقـومه «عـيسى عليـه السلام» ابن مـريم التى أحـصنت فرجـها، وصـانت عرضهـا من كل سوء، فجعلهـا الله وابنها آية للعالمين، ومـعجزة فى الآخرين وخرقا أكبر لناموس الحياة المستمر، وهو خلق إنسان بقدرة الله عز وجل على غير ماجاءت به عادة التزاوج بين الذكر والأنثى .

هؤلاء هم أنبياء الله تعالى فى سورتهم مزج الله ذكرهم مزجاً عجيبا يتخطى حُـجُب الزمان، ويتجـاوز حدود المكان ليكونوا جـميعـا بدعوة التوحيد ، والخضوع للذات العليَّة « أمة واحدة»أى : « ملة واحدة» تتجه إلى الله الواحد القهار .

فلا غرابة إذاً أن يُختم ذكرهم بخاتم « الوحدة الأزلية». : ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ (٢).

---

(١) ٨٩ : الأنبياء.

(٢) الأنبياء : ٩٢ .

مبحث فى: مناسبة سورة الأنبياء لما قبلها :

من البدهى عند علماء التفسير أن آيات السورة الواحدة كل منها آخذ بحجز الأخرى لا ينفصل ولا ينفك، ولهذا كان ترتيب الآيات فى السورة الواحدة ترتيباً توقيفيا من الله تعالى لنبيه عليه السلام، حتى وإن كانت آياتها متباعدات النزول من الناحية الزمنية أو مختلفة النزول من الناحية المكانية .

فترتيب الآيات بعضها إثر بعض فى السورة الواحدة هو أمر الله وعلمه.

أما ترتيب السُّور - حسب ماهو بين أيدينا الآن فيما عُرف علميا بأنه مصحف عثمان ـ رضى الله عنه ـ فقد قيل بأنه اجتهاد من الصحابة رضوان الله عليهم، كما قيل بأنه : توقيفى أيضا أى بأمر الله عز وجل لنبيه الكريم .

والذى أميل إليه أن ترتيب السور كترتيب الآيات كلاهما توقيفى بأمر الله عز وجل لنبيه ﷺ .

وليس أدل على الميل إلى هذا القول من سورة الأنبياء مع ماقبلها وهى : سورة طه ، وما قبل قبلها وهى سورة مريم ؛ وبيان ذلك على النحو التالى :

(١) فإن الله تعالى لما ذكر فى آخر سورة مريم عن القرآن الكريم الذى أنزله بلسان نبيه، ويسَّره له ولقومه، وجعله معجزة يتحداهم به؛ وذلك فى قوله تعالى ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ

وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا ﴾ (١) أى شديدى الخصومة، ثم أتبع ذلك بتذكير هؤلاء الألداء بما فعله أمثالهم من القرون السالفة التى لم يعد لأحد منهم صوت ولا صورة بقولـــه تعالى : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾ (٢).

فناسب أن يواصل مخاطبة نبيه ﷺ على سبيل المواساة والتسلية بأنه ما أنزل عليه هذا القرآن ليشقيه به، وإنما ليكون مذكراً لقومه، هاديًا لهم، لعل وعسى أن يجعل من بينهم من يتقى ويخْشى ؛ فقال تعالى : ﴿طه * مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ * إِلاَّ تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى ﴾(٣)وهنا تتعانق سورة طه مع سورة مريم.

(٢) ثم يتواصل أُنْس الله تعالى لنبيه ومواساته فى سورة طه بذكر موسى عليه السلام وما كان من شأنه وشأن أخيه هارون مع فرعون حتى أهلك الله فرعون، ونجىَّ موسى وقومه؛ ثم ما كان من شأن موسى مع قومه وردّة كثير منهم واتباعهم للسامرى.

كل ذلك فى معرض المواساة والتسلية والتذكير بأنه ما مِنْ نبىٍّ بُعث لهداية قومه وكانت السبل أمامه ميسرة، والطرق ممهدة، وما كان إلا المكابدة والابتلاء حتى يظهر الله وعده، ويتحقق نصره على أن هذا الابتلاء سنّة الله وشأنه مع كل نبىٍّ ، حتى وإن لم يكن له قوم يعاندونه أو عشيرة يمالئونه.

---

(١) ٩٧ : مريم . (٢) آخر سورة مريم .
(٣) طه ، ١ : ٣.

ولهذا تمضى المواساة والتسلية لتعود بمحمد ﷺ فى آخر سورة طه إلى الزمن الأول للبشرية إلى جدِّه آدم عليه السلام، وما ابتلى به فى عَهْده، وما كان من فقده لعزمه، ومكابدته لإبليس ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾ (١).

ثم ختمت سورة طه بما ختمت به سورة مريم عن إهلاك القرون المعاندة لتقول: ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴾ (٢).

فناسب ذلك دعوة النبى ﷺ إلى الصبر كما صبر إخوته من الأنبياء وكما صبر جدّه آدم، فقال له ﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ (٣).

(٣) ثم ختم هذه المواساة كلها والدعوة إلى الصبر . بحكمة العليم الخبير بعباده الذى يعلم ماهم عليه من الشك ومطالبتهم الرسل بالدليل تلو الدليل لإزالة هذا الشك من نفوسهم، وإتاحة الفرصة لهم بإملاء الوقت .. وترقب الله لهم، وترقب الرسل لإيمانهم قبل أن يأتيهم هذا الوقت فقال : ﴿ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ ﴾ - أى من قبل هذا الإملاء والإمهال - ﴿ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴾ (٤).

فأمره الله أن يبسط لهم الإملاء، والتربص، والإمهال بقوله ﴿ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ ﴾- وهذا آخر سورة طه .

---

(١) ١١٥ : طه (٢) ١٢٨ : ط
(٣) ١٣٠ : طه . (٤) ١٣٤ : طه .

فناسب أن يقول إن هذا التربص لن يطول به الأمد، ولكنه يوم قريب الحساب مع أنكم غافلون عنه . فقال فى أول سورة الأنبياء :﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ ﴾ (١).

وهنا تعانقت سورة الأنبياء مع سورة طه، كما تعانقت سورة طه مع سورة مريم، وتواصل حوار الأنبياء - ووعدهم ووعيدهم لأقوامهم، وترقب كل أمة لهذا الوعيد إلى حين ظهور محمد ﷺ مع أمته التى بعثت على رأس قيام هذا الوعد ودنوه وقربه من الحدوث .

مبحث فى: موضوع سورة الأنبياء وغرضها:

لما كانت سورة الأنبياء من السور المكية باتفاق العلماء فإن موضوعها هو موضوع المكىّ من القرآن كله وهو معالجة قضية «الإيمان» بالله تعالى ، وتوجيه المكلفين من الإنس والجن إلى هذا الإيمان لأنه مدار الخلق كله ، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ* ﴾ (٢) .

ولا أغالى أبدًا إذا قلت بأن الصراعات البشرية كلها منذ فجر التاريخ أساسها هذه القضية - قضية الإيمان بالخالق جلّ وعلا - وقد أخذت هذه القضية من حياة الأمم فى جميع أدوار التاريخ وفى كل ركن من أركان الأرض حيزًا كبيرًا بالغ الأهمية. أو قل : هو الحيِّز كلّه .

فقضية « الإيمان» هى مرتكز كل دين ، والدين مرتكز الحضارة التى هى أصل الاجتماع البشرى بكل مقوماته الأخلاقية ، والقانونية .

---

(١) أول سورة الأنبياء.

(٢) ٥٦-٥٨ : الذاريات.

ومن هنا بنت التجمعات البشرية مقوماتها على قضية «الإيمان» الراسخ بفكرة معينة، أيًا كانت هذه الفكرة صحيحة أم سقيمة .

ودور الأنبياء المرسلين هو التركيز على «الإيمان» بالفكرة الصحيحة، ومقاومة «الإيمان» بالفكرة السقيمة.

والفكرة الصحيحة : هى « الإيمان» بالله الخالق ، المدبر ، الصانع ، الذى بيده المقاليد كلها .

والفكرة السقيمة : هى « الإيمان» بالآلهة المزيفة من الأوثان والبشر التى لا تملك الخلق ، ولا التدبير ، ولا تملك لنفسها نفعا ولا ضراً ولا موتا ولا حياة ولا نشوراً .

إذاً فالأنبياء المرسلون من الله تعالى « بالإيمان الصحيح» يصارعون « الإيمان السقيم» المتمكن فى نفوس من يعتنقه .

و«الإيمان» على هذا اعتناق القلب والوجدان لفكرة معينة يدافع عنها ويقاتل من أجلها، ويبنى على أساسها مقوماته كلها ، بل ويضحى بحياته ويموت فى سبيلها .

وعلى هذا فإن القضية كلها تتلخص فى جملة واحدة هى : « صراع إيمان مع إيمان». أو « إيمان يصارع إيمانًا» وكل واحد من المتصارعين يزعم هذا «الإيمان» ويتهم الآخر « بالكفر» ، فلا غرابة أن «المؤمن» بالأصنام والأوثان يتهم « المؤمن» بالله تعالى بأنه صابئ كافر ، والنزاع محسوم فى النهاية لأحد« المؤمنين» المتصارعين لأن أحدهما لابد أن يكون مصيبًا بينما الآخر لابد أن يكون على خطأ حتما ويقينا .

ولا شك أن المؤمن بالله الخالق ، المدبر ، الصانع ، الذى بيده المقاليد كلها هو صاحب الحق.

وأن المؤمن بالإله المزيف الذى لا يملك خلقا ولا تدبيراً ،ولا نفعا ولا ضراً،لا يستطيع أن يدعى الحق مهما حاول ؛ وهذا هو صراع الأنبياء مع

أممهم فى كل السور المكية، وهو صراع الأنبياء مع أممهم فى سورتهم «سورة الأنبياء ».

غاية ما هنالك أن كل سورة من السور المكية « تعالج» قضية «الإيمان» بأسلوب خاص بها سواء من ناحية التعبير اللغوى والبلاغى، أو من ناحية التركيز على « فكرة» معينة تنطلق منها لمعالجة الهدف الأصلى وهو «قضية الإيمان» بالله وحده لا شريك له .

فالداء واحد وطرق العلاج مختلفة، بل وجرعات هذا العلاج مختلفة أيضا نوعًا وكمًا على مدى الفترة الزمنية التى نزل فيها القرآن المكى والتى جاوزت عقدًا كاملاً من الزمن أو يزيد قليلاً ، كما جاوزت سوره ثلثى سور القرآن الكريم عدداً.

وإذْ عرفنا أن سورة الأنبياء هى من آخر مانزل من القرآن المكىّ ، إذًا فالعلاج فى مراحله النهائية :طريقة ، ونوعاً ، وكماً . مع استخدام أدق الأساليب اللغوية والبلاغية تركيزًا وتأثيراً .

- وإذا قلنا ما موضوع سورة الأنبياء إذًا ؟

فسيكون الجواب : هو علاج « داء» الكفر بالله تعالى المتمكن من عقول وقلوب مجتمع مكة وما حولها من القرى المبعوث إليهم محمد ﷺ ، والتى أنكرت بعثته فور ما أعلنها وجهر بها .

- وإذا قلنا : ما نوع العلاج الذى استعملته السورة الكريمة للقضاء على هذا الداء ؟

فإن الجواب : هو تقديم الدلائل الكونية، والشواهد التاريخية، وخوارق العادات ، وتهييج العقل للنظر، والإنذارات، والبلاغات .

- وإذا قلنا : ما طريقة تناول هذا العلاج ؟

فإن الجواب : أن طريقة العلاج انطلقت من التركيز على «الذِّكْر» أى : « الوحى، والموحى إليه ، والموحى به» .

- وإذا قلنا : ما كمية العلاج التى قُدِّرت للقضاء على هذا الداء.

والجواب : أن هذه الكمية اختلفت مقاديرها المعطاة باختلاف تناول الأدلة الكونية، والشواهد التاريخية، والحوار المنطقى ، وستتناول إجابة هذه الأسئلة بشئ من التفصيل فيما يلى :

(١) داء الكفر وعلاجه :

وسورة الأنبياء عليهم السلام تتكون من ثلاثة محاور : أول السورة، ووسطها ، وآخرها.

أما أول السورة :

فهو موضوعها وهو قضية الإيمان والتوحيد، ويبدأ بالإنذار بقرب القيامة من الآية الأولى ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ ﴾.

وينتهى بنهاية الآية السابعة والأربعين وهى تتحدث عمّا فى القيامة من عدل الحساب الذى ينصب له موازين لا يضيع معها مثقال حبة من خردل؛ فى قوله تعالى ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ .

وأما وسط السورة :

فهو التذكير بسير جمهرة عظيمة من الأنبياء الذين هم أمة واحدة، بلغ عددهم فى السورة الكريمة ثمانية عشر نبيا.

ذُكر منهم ستة عشر نبيا بأسمائهم، مقرونة ببعض الفضائل التى أكرم الله بها عددًا منهم، وكان ذكر أكثرهم فى الغالب مثنى مثنى، ولم يذكروا طبقا للترتيب الزمنى لظهورهم، بل طويت أزمانهم ومزجت بصورة مدهشة كما سبق أن نوهنا بأن الزمن ليس بمقصود فى ذاته وإنما المقصود هو الموضوع وهو القضية الأساسية؛ قضية الإيمان بالله تعالى وإفراده بالوحدانية.

وتم التركيز من بينهم على ذكر أبى الأنبياء خليل الله إبراهيم عليه السلام، وإبراز محاجته لقومه، وإقامة الحجة عليهم فى بطلان معتقدهم فى عبادة الأوثان لأنها عين القضية التى بعث إليها حفيده النبىُّ العربى محمد ﷺ ، فكان ذكر إبراهيم عليه السلام وتكسيره لأصنام قومه إسقاطًا لحجة أهل مكة ومن جاورهم من القرى فى التمسك بمعبوداتهم الوثنية المماثلة .

وأُبهم ذكر اسمين من الأنبياء، هما عيسى وأخوه محمد صلى الله عليهما وسلم.

* أما عيسى فذُكر على أنه الآية العظمى التى خرق الله بها عادة الخلق الناشئة عن تلاقى الزوجين (الذكر والأنثى) حيث خلق عيسى إجراء لمشيئة الله تعالى بغير أب إظهارًا لمن يجب أن تتوجه له المخلوقات بالعبادة وهو القادر على الخلق والإبداع، والقادر على خرق قواعد الخلق والإبداع ، وليس إلى من لا يملك ذلك ؛ وذلك فى قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

* وأما محمد ﷺ فلم يذكر باسمه وإنما ذُكرَ معززًا مضافًا بالضمائر إلى الله مكرمًا بين الأنبياء فى سورة الأنبياء غاية التكريم والإعزاز، وذلك فى سبعة عشر موضعًا فى السورة على وجه الخطاب، أو الإشارة، أو الإضمار، أو ندائه بالأمر وذلك على الترتيب التالى :

١- فى الآية الثانية : ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم ﴾ يعنى محمداً ﷺ.

٢- وفى الآية الثالثة : ﴿ هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ .

٣- وفى الآية الرابعة : ﴿ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ وفى قراءة (قُلَ رَبِّى) .

٤- وفى الآية الخامسة : ﴿ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ

الأَوَّلُون﴾ .

٥- وفي الآية السابعة : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ .

٦- وفي الآية الرابعة والعشرين : ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي﴾.

٧- وفي الآية الخامسة والعشرين : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ﴾.

٨- وفي الآية الرابعة والثلاثين :﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ .

٩- وفي الآية السادسة والثلاثين : ﴿وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُوًا﴾.

١٠- وفي الآية الحادية والأربعين : ﴿ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾.

١١- وفي الآية الثانية والأربعين : ﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾.

١٢- وفي الآية الخامسة والأربعين : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ﴾ .

١٣-وفي الآية السابعة بعد المائة : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾.

١٤- وفي الآية الثامنة بعد المائة : ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾.

١٥- وفي الآية التاسعة بعد المائة : ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾.

١٦- وفي الآية الحادية عشرة بعد المائة : ﴿ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ﴾.

١٧- وفي الآية الثانية عشرة بعد المائة :﴿ قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ﴾ وفي قراءة ﴿قُلْ رَبِّ احكُم بِالحَقِّ﴾

كما اشتملت السورة الكريمة إضافة إلى من ذكر من الأنبياء المبجلين على ذكر اثنتين من صالحات نساء العالمين هما ابنتا عمران : الأختان اللتان أجرى الله عليهما آيتين جليلتين :

أما الأولى فهى :

«أشياع ابنة عمران »كانت عجوزاً عقيما لا تلد فخرق الله تعالى فى شخصها قاعدة العقم استجابة لدعوة نبى الله زكريا عليه السلام حينما قال : ﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ﴾(١) .

وأما الثانية فهى :

« مريم ابنة عمران » أختها : أجرى الله عليها أمره بالإنجاب دون أن يكون لها زوج ، وخرق فى شخصها قاعدة التناسل ، وجعلها وابنها بذلك آية فى قوله تعالى : ﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (٢).

وهذا كله تناولته السورة الكريمة من أول الآية الثامنة والأربعين وهى قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ إلى نهاية الآية الثانية والتسعين ، وهى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ .

---

(١) ٨٩ : الأنبياء.
(٢) ٩١ : الأنبياء .

وأما آخر السورة :

فهى عود إلى ما اشتمل عليه أولها من موضوع « الإيمان» والتوحيد، والإقرار بنبوة محمد ﷺ على رأس القيامة واقتراب الوعد الحق من الحساب، وهو ما تناولته السورة من أول الآية الثالثة والتسعين ، وهى قوله تعالى : ﴿ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴾ إلى آخر السورة وهى الآية الثانية عشرة بعد المائة، وهى قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾.

فكان وسط السورة من ذكر الأنبياء الكرام وسيرهم الشخصية ، ومحاجة بعضهم لأممهم إسقاطًا على موضوع السورة فى أولها وآخرها.

* وإذا كنا قد عرفنا أن موضوع سورة الأنبياء هو: علاج داء « الكفر» المتمكن من عقول وقلوب مجتمع مكة وما حولها من القرى المبعوث إليهم محمد ﷺ حيث أنكروا بعثته فور إعلانها بادعاء كونه بشراً مثلهم، وأن مايدعيه من الوحى لا يعدو أن يكون سحرا، أو أضغاث أحلام، أو افتراء ، أو قول شاعر.

فإن السورة تناولت علاج هذا الموضوع فى خطوات خمس :

الخطوة الأولى :

بيان تمسك الكفار « بالإيمان» المزيف السقيم القائم على التمسك بالإيمان بآلهتهم المزيفة من الأوثان والاعتزاز بها، والانتصار لها لكونها من موروثات الآباء والأجداد، والدفاع عنها ضد من يستهزئ بها ويذكرها بسوء، فى الوقت الذى لا يخجلون فيه « من كفرهم» بالرحمن وذلك فى الآيات التالية :

١- فى قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾. الآية(٣٦)

٢- وفى قوله تعالى : ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ ﴾ الآية : (٥٩) أى يتحدث عن آلهتهم بسوء .

٣- وفى قوله تعالى : ﴿ قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا ﴾ الآية (٦٢) معظمين لآلهتهم مستنكرين لأذاها .

٤- وفى قوله تعالى : ﴿ حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ ﴾ الآية (٦٨) .

الخطوة الثانية :

بيان فساد هذا المعتقد بالآلهة المزيفة التى لا تملك خلقا، ولا تمنع أذى، بينما المالك لذلك هو الله الذى يكلأ الخلق ويحفظهم ليل نهار .

وذلك بقصد الإيقاظ العقلى ، والتأثير الوجدانى للاتجاه إلى «الإيمان الحقيقى» بالله الواحد الخالق المدبر، وهذا ما تناولته الآيات التالية :

١- الآيات (٤٢، ٤٣) قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ *أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴾.

٢- الآيات : (٩٨ ، ٩٩) قوله تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ من دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ * لَوْ كَانَ هَؤُلاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ .

الخطوة الثالثة :

نفى المشاركة فى الألوهية مع الله الواحد القهار بعد نفى وجود إله غير الله على سبيل الاستقلال .

سواء كان هذا على سبيل المشاركة فى الملك، أو عن طريق التناسل والإنجاب والتزاوج ؛ فالله الذى ينبغى أن تتجه إليه القلوب منزه عن الزوج، والولد، والشريك ، والند ، والنظير .

وهذا ما تناولته الآيات التالية :

١- الآية (١٧): قوله تعالى : ﴿ لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ .

واللهو : الزوج، أو الولد ،سماهما الله لهوًا تحذيرًا عن أن يكون ذلك مما يجوز على الله اتخاذه؛ والحال أنه ما ينبغى ذلك تعالى الله عما يقولون علواً كبيرا.

٢- الآيات من (٢٦-٢٩) قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ *لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ * وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ .

الخطوة الرابعة :

النفى الجازم أن يكون مع الله إلها آخر سواء على سبيل الاستقلال، أو المشاركة ،أو التناسل ،والتزاوج، وذلك كالإعلان الصريح الحاد، وهو ما توضحه الآيات من (٢٢-٢٣) من قوله تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ

إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ *لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾

الخطوة الخامسة :

الإعلان بأن الله واحد لا شريك له ، والدعوة الجازمة إلى نبذ الكفر والشرك بالله تعالى وهذا ما توضحه الآيات التالية :

١- الآية (٢٥) من قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ .

٢- الآية (٢٩) من قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّن دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ .

٣- الآية (٨٧) من قوله تعالى : ﴿ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾.

٤- الآية (١٠٨) من قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ .

(٢) نوع العلاج الذى قدمته السورة الكريمة للقضاء على داء الكفر:

قدمت السورة الكريمة خمسة أنواع من العلاج للقضاء على داء الكفر المتمكن من نفوس أهل مكة ومن حولهم من القرى؛ وهذه الأنواع الخمسة هى :

الدلائل الكونية ، والشواهد التاريخية ، وخوارق العادات، والإنذارات، والبلاغات. وبيان هذه الأنواع الخمسة على النحو التالى :

أولا : الدلائل الكونية :

قدمت السورة الكريمة هذا النوع من الدلائل لعلاج داء الكفر ،أو الايمان المزيف بالآلهة المزعومة لتحريك نظرهم فى أن غير الله تعالى لا يمكن له أن يقوم بصنع شئ من هذه الدلائل المقدمة وهى :

(أ) رتق السماء عن الأرض.

(ب) جعل السماء سقفا يحفظ الأرض ومن عليها من الأحياء.

(جـ) تسخير الأرض للأحياء بالطرق الممهدة، والسبل الفجاج .

(د) وزن الأرض بالجبال حتى لا تميد بمن عليها.

(هـ) خلق الليل والنهار، وتسخير الأول للخلود والراحة ، والثانى للكد والعمل.

(و) خلق الشمس والقمر : وجعل الأولى للضياء ، والثانى للنور .

(ز) جعل الماء أصل كل حىّ.

(ح) تقدير الموت على كل كائن حىّ حتى الرسل والملائكة.

وهذه الدلائل كلها قدمتها الآيات الست من السورة الكريمة فى مكان واحد ابتداء من الآية الثلاثين حتى نهاية الآية الخامسة والثلاثين من قوله تعالى :

﴿ أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ * وَجَعَلْنَا فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلاً لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ *وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ *وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ *وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ

أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ*كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ .

(ط) نقص الأرض من أطرافها :

وهذا ماقدمته الآية الرابعة والأربعون من قوله تعالى ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ .

(ى) إلانة الحديد ، وتسخير الجبال والطير بإنطاقهما لنبيّ الله داود عليه السلام ، وتسخير الرياح لحمل الإنسان، وتسخير الشياطين للصناعة وخدمة نبيّ الله سليمان عليه السلام ؛ وذلك كله مما يعجز عنه غير الله تعالى .

وذلك كله تقدمه السورة فى الآيات من أول الآية التاسعة والسبعين إلى نهاية الآية الثانية والثمانين فى قوله تعالى : ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ * وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ *وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ *وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴾ .

ثانيا: الشواهد التاريخية :

وقد قدمت السورة الكريمة هذا النوع من العلاج للتذكير بتاريخ الرسل الذين بعثوا إلى أممهم لهدايتهم بنزع داء الكفر من قلوبهم وإيمانهم واعتقادهم بغير الله تعالى ، وتوجيههم إلى الإيمان الصحيح بالله القادر المبدع .

ووردت هذه الشواهد التاريخية فى السورة الكريمة بطريقتين مؤداهما واحد وهما :

التذكير بالقرى الظالمة التى حق عليها الإهلاك نتيجة تكذيبهم لرسلهم الذين أرسلوا إليهم لهدايتهم إلى الإيمان الصحيح .

أو التذكير بالرسل أنفسهم الذين أرسلوا إلى هذه القرى وبعثوا لهداية أممهم فآذوهم ، وسخروا بهم وعذبوهم فأجرى الله على أهل هذه القرى ماصار تاريخا يحكى ويقص ، وآثاراً مُدَمَّرَة تزار وتشاهد ونجى الله رسله والمؤمنين من عباده بوعد من الله وحقٌ عليه.

أما إيراد الشواهد التاريخية بطريق التذكير بالقرى الظالمة فنراه فى آيات السورة الكريمة على النحو التالى :

١- فى الآية السادسة من قوله تعالى : ﴿ مَا آمَنَت قَبلَهُم مّن قَريةٍ أَهلَكنَاها أَفَهُم يُؤمِنُونَ﴾.

٢- وفى الآيات الخمس المتتاليات من أول الآية الحادية عشرة إلى نهاية الآية الخامسة عشر من قوله تعالى : ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا من قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ *فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ *لا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ * قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ * فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ﴾.

٣- وفى الآية الخامسة والتسعين من قوله تعالى : ﴿ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ ﴾ .

وأما إيراد الشواهد التاريخية بالتذكير بالرسل بأسمائهم ، وذكر صفات بعضهم تارة، وحوار بعضهم مع أممهم وقراهم تارة أخرى، مما شاع ذكره، وعم تاريخه،حتى وصل إلى أسماع أهل مكة ومن حولهم من القرى حتى قالوا لنبيهم محمد ﷺ : ﴿ فليأتنا بآية كما أرسل الأولون﴾ ، فقد تكفلت به السورة الكريمة فى حيز بلغ الثلث الأوسط للسورة، حتى صار محورها الذى يدور عليه أولها وآخرها، وتم التركيز

فى هذا الحيز المبارك على ذكر سبعة عشر نبيًا وامرأتين اثنتين من صوالح المؤمنات، وقد أشرنا فى أول هذه المقدمة إليهم جميعا .

ولكن السورة ركزت فى مجال ذكر الأنبياء فى جانب تصحيح العقيدة والهداية على ثلاثة من الأنبياء وهم : إبراهيم ، ولوط ، ونوح :

أما إبراهيم عليه السلام فأسهبت السورة فى ذكره إسهاباً مفصلاً مرتكزاً على حواره مع قومه فى شأن عبادة الأصنام وترك عبادة الله الواحد القهار بطريق عملى يؤدى إلى التسليم العقلى بفساد معتقدهم فكان هذا إسقاطًا على أهل مكة أغنى محمداً ﷺ عن مجادلتهم به .

وكانت نهاية حوار إبراهيم مع قومه بعد عجزهم عن رد حجته بحيث لم يملكوا إلا العناد فقرروا إحراقه فى النار، فنجاه الله منها، وأخرجه من بين أظهرهم إلى الأرض المباركة.

واستغرق ذلك الحيز من أول الآية الحادية والخمسين إلى نهاية الآية الثالثة والسبعين .

وكان فيها من توجيه العبر لأهل مكة مايأتى :

١ - فساد معتقدهم فى الأصنام والإيمان بها والكفر بالله الخالق.

٢ - صحة دعوة محمد ﷺ وكونه رسولاً مبعوثا إليهم .

٣ - وعد الله الحق بإنجاء رسوله محمد ﷺ كما نجى إبراهيم من أتون النار المحرقة .

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ* إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ * قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ *قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ *قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ * قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ *وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا

مُدْبِرِينَ* فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلاَّ كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ *قَالُوا مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ * قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ * قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ * قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ* فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ * ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ *قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ * أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ * قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ *ونجيناه ولوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ *وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾ .

وأما لوط عليه السلام : فذكر الله به أهل مكة فى آيتين اثنتين هما الآية الرابعة والسبعون والخامسة والسبعون باعتباره بعث إلى قرية خبيثة متمردة على قوانين الله ونواميسه ؛ فتم إهلاكها وإنجاء العبد الصالح لوط ومن معه .

﴿ وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ﴾

وأما نوح عليه السلام : فتم تذكير أهل مكة به أيضا فى آيتين اثنتين هما السادسة والسبعون والسابعة والسبعون على النحو الذى جرى عليه الحال بشأن لوط عليه السلام، وهو إنجاء الرسل عند حلول الكرب بأقوامهم .

﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ

الْعَظِيمِ * وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ .

أما باقى الأنبياء فقد ذكر الله أهل مكة بأسمائهم المعروفة لديهم ليعلموا أن شأن محمد ﷺ المبعوث إليهم شأن هؤلاء الذين تواترت أنباؤهم مع أممهم إلى أسماعهم وما جرى عليهم سيجرى على أهل مكة حتما، واكتفت السورة الكريمة بذكرهم بأسمائهم وذكر بعض فضائلهم من الصبر والصلاح اكتفاء بقصصهم المطولة فى سور القرآن الكريم الأخرى .

ثالثا: خوارق العادات :

قدمت السورة الكريمة هذا النوع من الدلائل وهو ذكر بعض خوارق العادات كعلاج لداء الكفر المتمكن من قلوب الكفار حتى يدركوا خطأ معتقدهم فى الأصنام وعموم الآلهة المزيفة، والإقبال على الإيمان بالله الواحد القهار، القادر على إجراء العادة كالإماتة، والإحياء، والخلق والإفناء، وجعل الخواص للأشياء كخاصية الإحراق للنار، وخاصية هضم المطعومات للمعى، ثم خرق هذه القواعد إن شاء فى أي لحظة يريد ، وهذا منتهى القدرة التى يعجز غير الله القادر عليها، وأنى للآلهة المزيفة أياً كانت ، وأنى كانت على هذا الاقتدار.

وقد أوردت السورة الكريمة عدداً من العادات التى تم إيقافها وسلب الخواص منها بأمر الله القادر، وتسخير بعض المخلوقات لبعض عباد الله الصالحين من الأنبياء ؛ وهى على ما وردت فى السورة الكريمة:

١- تسخير الحديد بإلانته لأول مرة لداود عليه السلام .

٢- تسخير الجبال لداود أيضا بالتسبيح معه لله الواحد القهار .

٣- تسخير الطير لداود أيضا بالتسبيح معه لله الواحد القهار.

٤- تسخير الريح لسليمان عليه السلام لحمله وجنده وعتاده وعدته والتوجه به إلى أى مكان وإعادته إلى موطنه أنىّ شاء.

٥- تسخير الشياطين لسليمان عليه السلام أيضا يعملون بأمره له مايشاء.

وقد جمعت هذه الخوارق الخمسة فى السورة من أول الآية الثمانين إلى نهاية الآية الثانية والثمانين من قوله تعالى: ﴿ وسخَّرْنا مع داود الْجبال يسبّحْن والطَّيْر وكُنَّا فاعلين *وعلَّمْناه صنْعة لبوس لَّكُمْ لتحصنكُم منْ بأسكُمْ فهلْ أنتمْ شاكرُونَ *ولسُليْمانَ الرّيح عاصفة تجْري بأمْره إلَى الأرْض الَّتي باركْنا فيها وكُنَّا بكُلّ شيْء عالمين *ومن الشَّياطين من يغوصونَ لَه ويعْملُونَ عملاً دُونَ ذَلكَ وكُنَّا لَهُمْ حافظين ﴾

٦- خرق العادة بإبطال خاصية الإحراق للنار :

إن الناس منذ الخلق الأول يعرفون أن للنار خاصية الإحراق، ولكن الكثير منهم يغفل أن الله القادر هو الذى جعل هذه الخاصية للنار، وأمرها بذلك، وأن جاعل هذه الخاصية والآمر بها هو وحده القادر على أن يسلبها هذه الخاصية، وسلب خاصية الإحراق للنار خرق للعادة التى تعارفها الخلق الأول منذ البدء إظهاراً للقدرة المعجزة التى يجريها الخالق القادر إظهاراً لدعوة نبىٍّ وقهر للقرى الظالمة لنفسها بالكفر .

وهذا ما قدمته الآيات الثامنة والستون إلى نهاية الآية السبعين من قوله تعالى:

﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ * قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴾ .

٧- خرق العادة بإبطال قدرة المرض الفتاك على التأثير فى الأجسام :

وذلك كرامة ومعجزة ورحمة لنبى الله أيوب عليه السلام الذى آمن بالله القادر على جعل الخواص للأمراض بالفتك، والقادر على سلبها القدرة على هذا الفتك ؛ فدعا ربه مؤمنا به حق الإيمان سائلاً إياه كشف الضر عنه فاستجاب له دعاءه، فأبطل خاصية القدرة لما ألم به من مرض عضال وكشفه عنه، بل وأكرمه بعوض ولده الذين فقدهم بالموت بأن رزقه مثلهم .

وقد قدمت السورة الكريمة خرق هذه العادة فى الآيات من أول الآية الثالثة والثمانين إلى نهاية الآية الرابعة والثمانين من قوله تعالى : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴾ .

٨ - خرق العادة بإبطال قدرة معدة الحوت على هضم مطعومها :

وذلك رحمة وكرامة ومعجزة لنبى الله يونس بن متى عليه السلام الذى ذهب مغاضباً فالتقمه الحوت، وما كان لحوت إلا هضم مطعوم دخل إلى معدته طبقا لخاصية خلق الله وإذنها لها بالهضم ، لكن الله الآمر بالهضم أمر بالتوقف عنه خرقا لعادتها استجابة لاستغاثة وصرخة يونس فى بطن الحوت وظلماته أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين، ليعلم أن القادر على ذلك هو الله الذى يجب أن تتوجه القلوب إلى الإيمان به ، وليس إلى العاجز المزيف.

وقد تناول ذلك الآيتان السابعة والثمانون والثامنة والثمانون من السورة الكريمة من قوله تعالى : ﴿ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن

نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

٩- خرق العادة بإصلاح الرحم العقيم الذى لا يلد :

وذلك كرامة ومعجزة واستجابة لدعاء صالح من نبى صالح هو زكريا عليه السلام، وإكراما لامرأة صالحة ، من بيت دين وعبادة ونسك هى « أشياع» ابنة عمران زوج النبى زكريا وأخت مريم ابنة عمران .

وهو ماقدمته الآية التاسعة والثمانون والآية التسعون من السورة الكريمة من قوله تعالى : ﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ *فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾

١٠- خرق عادة التناسل بواسطة اللقاء بين ذكر وأنثى بإجرائها بأمر الله وإذنه دون لقاح :

وذلك لجعلها آية فى« العالمين ، ومثلاً للقدرة التى لا يقدرها إلا الله القادر بحق .

وهو ماقدمته الآية الواحدة والتسعون عن مريم البتول وابنها بكلمة الله عيسى عليهما السلام حيث جعلهما آية خارقة للعادة فى العالمين .

وهذا ماقدمته السورة الكريمة من قوله تعالى : ﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

رابعا : دعوة العقل وحثه وتهييجه على النظر والتدبر فى أى الإيمانين أولى ؟

الإيمان بالله الخالق القادر؟ أم الإيمان بالآلهة المزيفة العاجزة ؟

وهذه الدعوة إلى النظر العقلى قدمتها الآيات التالية من السورة الكريمة :

١- فى الآية (٢١) ووجه كفار مكة بسؤال استنكارى لم يكن الغرض منه تحقيق جواب عنه بقدر ماكان غرضه تحريك عقولهم الراكدة أنهم عبدوا آلهة عاجزة غير قادرة على الإحياء .

﴿ أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون ﴾ ؟

٢- وكذلك استفزاز عقولهم واستنفارها للتدبر وإعادة النظر فى مفاهيمهم وموروثاتهم الخاطئة عن الآلهة المزيفة .

وهو ما تقدمه الآيات (٢٢، ٢٣، ٢٤) من قوله تعالى :﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ *لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ * أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾.

٣- التدبر فيما خلق الله من السماوات والأرض وفتقهما ، والماء ومافيه من خواص ، والليل والنهار وغيرها من الكون - فهل كل هذا من صنع آلهتهم أم من صنع من يجب أن تتوجه القلوب والعقول إلى الإيمان به ؟

وهذا ماقدمته الآيات (٣٠ ،٣١ ، ٣٢، ٣٣) من قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ *وَجَعَلْنَا فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلاً لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ *وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ

سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ * وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾.

٤- إيقاظ العقول وتهييجها إلى إجراء قاعدة الموت على كل حيّ ، وابتلاء الناس واختبارهم بالخير والشر لعرضهم على الحساب .

وهو ما تقدمه الآية (٣٥) من قوله تعالى ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾.

٥ - طرح الأسئلة المباشرة لاستنفار عقولهم بالإجابة عن خلق الكون ، وعن مدى قدرة آلهتهم المزعومة على منع عذاب الله عنهم .

وليس المقصود هو الحصول على الجواب كما قدمنا بل المقصود أبعد من ذلك وهو الحصول على الإقرار بقدرة الله ، وعجز ما سواه عن تقديم هذه القدرة حثا على سرعة الإقرار والإيمان الحقيقى .

وهو ماقدمته الآيات (٤٢ , ٤٣ , ٤٤) من قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ * أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ * بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾

وفيما قدمه حوار إبراهيم مع قومه بعدما كسر أصنامهم وجعلهم جذاذا وقطعا صغيرة، وعلق الفأس الذى كسرهم به فى عنق كبير الآلهة لاستنطاقه - وماهو بناطق - أبلغ فى طرح الأسئلة .. وأبلغ فى إفهام القوم .

وهو ما تناولته الآيات من (٥١) الى آخر الآية (٦٧) من قوله

تعـــــالى : ﴿ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ * قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللاَّعِبِينَ * قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ *وَتَاللَّهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ * فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلاَّ كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ * قَالُوا مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ *قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ * قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ *قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ* قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ * فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ * ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاَءِ يَنطِقُونَ * قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلا يَضُرُّكُمْ * أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ .

٦ - ثم يأتى القرار النهائى كنتيجة لطرح هذه الأسئلة أن كل معبود سوى الله تعالى مورده إلى النار مع من عبدوه من دون الله تعالى إلا من سبقت عليه الحسنى لتبريه ممن عبدوه .

وهو ما قدمته الآيات (٩٨ , ٩٩ , ١٠٠ , ١٠١) من قوله تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ *لَوْ كَانَ هَؤُلاَءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ *لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لا يَسْمَعُونَ *إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ .

خامسا : الإنذارات :

وقد قدمتها السورة الكريمة بين يدى معتنقى الإيمان المزيف من أهل

مكة ومن حولهم من القرى لتذكيرهم بأن ماهم فيه باطل، وأن حسابهم قاب قوسين أو أدنى من الوقوع، وأنهم أمة بعث إليهم نبيهم بين يدى الساعة .

وقد استهلت السورة الكريمة بهذا الإنذار وختمت به أيضا ، وتوالت الإنذارات تترى بين الاستهلال والخاتمة على النحو التالى من آيات السورة الكريمة.

١- اقتراب حساب الناس :

وهو ماقدمته الآية الأولى من قوله تعالى : ﴿ اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون ﴾ .

كما قدمته الآية السابعة والتسعون من قوله تعالى : ﴿ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾.

٢- التهديد بإظهار الآيات الكبرى بين يدى الساعة :

وهو ماقدمته الآية السابعة والثلاثون من قوله تعالى ﴿ سأريكم آياتى فلا تستعجلون ﴾.

٣- الإعلام بأن قيام الساعة إنما يكون على بغتة من الناس :

وهو ماقدمته الآية (٤٠) من قوله تعالى : ﴿ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾.

٤- الإنذار بأن أدنى العذاب عظيم لا يطاق :

وهو ماقدمته الآية (٤٦) من قوله تعالى : ﴿ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾.

٥ - الإنذار بالوحى : أى القرآن :

وهو ماقدمته الآية (٤٥) من قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴾.

٦ - الإنذار بظهور يأجوج ومأجوج، وهذا الظهور إيذان بقرب القيامة:

وهو ماقدمته الآية (٩٦-٩٧) من قوله تعالى ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ *وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾.

أى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وقدموا من كل سهل ومرتفع اقترب الوعد الحق.

٧- الإنذار بطىّ السماء ورفع سقفها الحافظ للأرض وإعادة الخلق إلى سابق عهده الأول .

وهو ماقدمته الآية (١٠٤) من قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ .

سادساً : البلاغات :

وهى خلاصة ماقدمته السورة للدعوة إلى الإيمان ، وإبراء ذمة الرسول من الإنذار والتبليغ وهو أن الله تعالى قد أعذر رسوله فيما بلغهم به ؛ فإن لم يستجيبوا أخذوا كما أخذت القرى من قبلهم ، وأن عليهم أن يستجيبوا لداعى الإيمان بالله الواحد القهار الذى يعلم الجهر والسر وهو المستعان .

وهو ما ختمت به السورة الكريمة ابتداء من الآية (١٠٧) إلى نهاية الآية (١١٢) من قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾.

(٣) طريقة تناول هذا العلاج :

تركزت طريقة تناول علاج « داء الكفر » بالله تعالى على « الذِّكْر » بمفهومه الشامل للوحى الذى هو النبى، وماينزل من السماءمن كلام الله تعالى على رسله.

ولعل كلمة « الذكر » بهذا المعنى أكثر دوراناً فى سورة الأنبياء عنها فى غيرها من سور القرآن الكريم .

فقد وردت هذه الكلمة فى سورة الأنبياء عشر مرات، وأكثر معانيها « الوحى».

وهذه المرات العشر موزعة على آيات السورة الكريمة من بدئها إلى نهايتها على النحو التالى :

١- فى الآية (٢) فى قوله تعالى : ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ ﴾ .

٢- فى الآية (٧) فى قوله تعالى : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ .

٣- وفى الآية (١٠) فى قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ﴾.

٤ , ٥- وفى الآية (٢٤) ذكرت مرتين : فى قوله تعالى : ﴿ هَذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي ﴾.

٦- وفى الآية (٣٦) فى قوله تعالى ﴿ وَهُم بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾.

٧ - وفى الآية (٤٢) فى قوله تعالى ﴿ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴾.

٨- وفى الآية (٤٨) فى قوله تعالى ﴿ وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ .

٩- وفى الآية (٥٠) فى قوله تعالى ﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ ﴾ .

١٠- وفى الآية (١٠٥) فى قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ ﴾ .

ورغم دوران كلمة « الذِّكْر » ، فى سورة الأنبياء كظاهرة ملفتة إلا أننا نلاحظ أن السورة الكريمة ركزت على مفهوم واحد من مفاهيم «الذِّكْر» وهو معنى الرسول النبى المرسل المبعوث من الله تعالى بالوحى ليخلص الناس من التمسك بالباطل إلى رحاب الحق ونور اليقين .

وقد جاء « الذِّكْر» بمعنى «الرسول» فى أول السورة مباشرة فى الآية الثانية من قوله تعالى : ﴿ ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون ﴾ .

ويعضد أن « الذِّكْر» بمعنى «الرسول» ماورد فى سورة الطلاق فى الآيتين (١٠ , ١١) من قوله تعالى : ﴿ قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا * رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ ﴾ .

ثم انطلقت سورة الأنبياء بعد ذلك لتجعل من « الرسول الذِّكْر» أو«الذِّكْر الرسول » محور الطريقة العلاجية التى يتم من خلالها تقديم الجرعات الدوائية للقضاء على داء الكفر ، بحيث تبدأ طريقة تقديم الجرعة العلاجية بالحديث عن « الرسول» ثم تنتقل بعد ذلك إلى جرعة العلاج نفسها، ثم تعود إلى« ذِكْر الرسول» لتتحدث من جديد عن جرعة أخرى ؛ فإذا انتهت عادت مرة ثالثة إلى « ذِكْر الرسول»

لتقدم من خلال ذكْره جرعة جديدة ؛ فإذا انتهت عادت مرة رابعة إلى « ذكْر الرسول » .

وهكذا حتى أصبح « الرسول» هو محور الطريقة التى ينطلق العلاج من خلالها سواء بتقديم الدلائل الكونية، أو الشواهد التاريخية ، أو عرض خوارق العادات، أو حث العقل على النظر، أو عن طريق الإنذارات، أو إصدار البلاغات.

ولهذا جاء ذكر الرسول فى هذه السورة الكريمة فى سبعة عشر موضعا ذكرناها قبل قليل؛ ولكننا هنا نركز على المواضع التى يصح أن نقول بأن طريقة تقديم العلاج انطلقت من خلالها ، ونلاحظها فى السورة الكريمة فى ستة مواضع بارزة واضحة للمتأمل وهى :

١- فى أول السورة من قوله تعالى : ﴿ مايأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون﴾.

فبدأ أول موضع فى السورة بالحديث عن «الرسول» الذى جاءهم يزعم أنه يوحى إليه ليؤمنوا فأنكروه .

ثم جرت الآيات بعدها للرد على هذا الإنكار حتى نهاية الآية (٦).

٢- فى أول الآية (٧) من قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ﴾ بدأت « بالرسول» وخطابه لمعالجة قضية الوحى، وحثهم على سؤال أهل «الذكر».

ثم انطلقت الآيات بعدها إلى نهاية الآية (٢٤) لعلاج فكرتهم عن بشرية الرسل، وأن محمداً ﷺ واحد منهم ، وإنكارهم له سيكون

كإنكار القرى الظالمة التى جاءتهم رسلهم فكذبوهم ثم ساقت الآيات جرعتها العلاجية بالحديث عن خلق السموات والأرض ونفى أن يكون لله شريك من زوج أو ولد من أهل السماء أو الأرض إذ كل من فيهما محض عبيد لله، ثم قررت استحالة تعدد الإله، وختمت بطلب البرهان على عكس ذلك مما يعتقدونه من دون الله من آلهة.

٣- في أول الآية (٢٥) من قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾.

بدأت « بالرسول » وخطابه ، والتأكيد على وظيفته السامية وهى إبلاغ الناس أن الله واحد لا شريك له، وأنها وظيفة الرسل منذ الخلق الأول.

ثم انطلقت الآيات بعدها لتعالج الادعاء بأن يكون لله «ولد» من الملائكة ، وإعلامهم بأن الملائكة ماهم إلا عباد مكرمون .

ثم تقدم الجرعة الأدلة الكونية المتاحة من خلق السموات والأرض، ودعوة العقل للنظر والتدبر ويستغرق ذلك إلى نهاية الآية (٣٥) .

٤- في أول الآية (٣٦) من قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُوًا ﴾ .

بدأت « بالرسول » ومخاطبته فى شأن استهزاء أهل مكة به لكونه جاءهم بالتمسك « بالإيمان الحقيقى » الذى هو الإيمان بالله الخالق القادر .. ونبذ «إيمانهم بالباطل» الذى هو آلهتهم المزيفة .

ثم انطلقت الآيات بعدها لتقدم الجرعة المتاحة من الأدلة التاريخية ، أو عن طريق تهييج العقول واستنفارها للنظر والتدبر، وذلك إلى نهاية الآية (٤٤).

٥- فى أول الآية (٤٥) من قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴾.

بدأ « بالرسول» وأمره بإنذار قومه بما أوحاه الله إليه .

ثم تنطلق الآيات بعدها لتقدم الشواهد التاريخية من تجارب الرسل مع أممهم ومحاجة رسلهم لهم فى إبطال إيمانهم بالآلهة المزيفة، وكذلك الدلائل الكونية، وخوارق العادات والإنذارات، والبلاغات وقد استغرق ذلك عرضًا طويلاً انتهى بنهاية الآية (١٠٦).

٦- فى أول الآية (١٠٧) من قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾.

بدأ « بالرسول » وختم به البلاغ النهائى ، والقرار الفصل فى أنه مبعوث إلى الناس كافة رحمة بهم لإخراجهم من ظلمات الكفر والشرك ،إلى نور اليقين بالله الخالق القادر .

وقد استغرق ذلك إلى نهاية السورة الكريمة التى انتهت بالآية (١١٢).

وإذا كانت السورة الكريمة قد ركزت على ذكر الرسول فى هذه المراحل الستّ فما ذلك إلا لأن الرسول هو المحور الأساسى فى عملية المواجهة مع قومه ودعوتهم للإيمان .

فهو الذى بلغهم بأنه رسول : وكان عليه أن يثبت لهم بعد ذلك حقيقة هذا البلاغ من أن المتفرد بالخلق يوحِى إليه، وأنه صادق فيما يدعيه من بلاغه عن الله تعالى .

ولهذا كله دار محور حمل الناس على الإسراع إلى الإيمان ونبذ الكفر على « الذكر الرسول» فى هذه السورة الكريمة المباركة سورة الأنبياء عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليمات .

(٤) تفاوت الجرعات العلاجية :

ومن خلال عرضنا للطريقة التى اتخذتها السورة لتناول علاج داء الكفر يتبين أن الجرعات التى تم العلاج بها تفاوتت كماً ونوعًا، وإن تكررت فى أكثر المواضع واختلطت من أدلة كونية ، إلى شواهد تاريخية، إلى دعوة للنظر والتأمل، إلى استعمال للإنذارات الموجهة، والبلاغات الحاسمة القاطعة فهذا طبيعة العلاج ، وشأن الدواء يتكرر مع المرضى قد يكون واحدا ويتكرر بجرعات متسقة المقدار ، وقد يكون واحدًا ويتكرر بجرعات مختلفة المقدار، وقد يختلف الدواء ويتنوع إلى أكثر من صنف واحد خاصة مع الأمراض النفسية المتوطنة والكامنة فى أعماق النفس، والعقل ، والدم ، والوجدان ....كداء « الإيمان المزيف» أو ما يعرف « بالكفر» بالله ، نعوذ به لأنفسنا من ذلك الداء .

فهو إذًا قواعد أخلاقية ودستورية ثابتة ترتكز على محورها القواعد التشريعية ولا تتجاوزها.

فقد أرسى القرآن المكىّ قواعد الأخلاق : كالعدل ، والإخاء ، والمساواة، والحق ،والحرية، والملكية.

ومع ذلك فلا يخلو القرآن المكىّ من المواد التشريعية التى احتكم إليها القرآن المدنى، وجعلها قانونًا يعاقب عليها متجاوزوها، وذلك كتحريم «اللواط» والأمر بإيفاء «الكيل والميزان» والنهى عن تطفيفهما، وهذان ومثلهما إنما هو من القرآن المكى ّ.

ولهذا قال الإمام الشاطبى فى « الموافقات »:

« المدنى من السور ينبغى أن يكون منزلاً فى الفهم على المكى ، وكذلك المكىّ - بعضه مع بعض ، والمدنى بعضه على بعض على حسب ترتيبه فى التنزيل وإلا لم يصح .

والدليل على ذلك :«أن معنى الخطاب المدنى فى الغالب مبنى على المكى كما أن المتأخر من كل واحد منهما مبنى على متقدمه دلّ على ذلك الاستقراء» .[1]

(٥) مبحث فى :أن القرآن المكى أصل التشريع :

وإذا كنا الآن فى رحاب سورة الأنبياء عليهم السلام - وهى من السور «المكية» -فلا بدَّ لنا أن ننفى عن الذهن ماقد يتبادر إليه من أن القرآن المكىّ لم يرد بتشريع من حلال أو حرام كما هو الحال فى السور المدنية، فنقول :

إن أجلّ ما ينبغى أن نعرفه عن « القرآن المكى » أنه أساس القرآن المدنى، أو هو أساس دعوة الإسلام كلها.

فإذا كان هدف القرآن المدنى هو تنظيم المجتمع بإنشاء القوانين والتشريعات وسنّ الأحكام فى كافة المجالات من عبادات، ومعاملات، وقضاء وسلم، وحرب، ومعاهدات، وعلاقات دولية، ونظم أخلاقية وسلوكية. فإن ذلك لا يقوم ابتداء حتى تستقر القلوب والنفوس على الإيمان الراسخ برب التشريع والآمر الناهى به، وهذا هو أصل الأصول .

فمن الخطأ إذًا أن يقال بأن القرآن المكىّ خال من القواعد التشريعية، فإنه لا يتم الإيمان « بالتشريع» إلا بعد أن يستقر فى القلوب الإيمان «بالمشرّع» فقاعدة « تشريع الإيمان» أساس قواعد تشريع الأعمال والسلوكيات.

فلا غرابة إذًا أن يكون عدد السور المكية ضعفى عدد السور المدنية، وأن يمتد زمن الدعوة المكية أكثر مما امتد زمن الدعوة المدنية .

إذًا فالقرآن المكىّ هو بمثابة القواعد الكلية لما جاء به القرآن المدنى من أمر ونهى لحلال أو حرام .

---

(١) الموافقات فى أصول الأحكام للشاطبى ٢/ ٢٤٤-٢٤٥.

المصادر والمراجع

١ـ الإتقان في علوم القرآن للسيوطي(جلال الدين السيوطي)طبعة الحلبي القاهرة. بدون تاريخ

٢ـ البرهان لبدر الدين الزركشي «بدر الدين محمد بن عبد الله ت ٧٩٤هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم مكتبة دار التراث القاهرة وطبعة أخرى دار إحياء الكتب العربية الطبعة الأولى.

٣ـ مباحث فى مبهمات القرآن الكريم (سورتى الفاتحة والبقرة)، الدكتور/ عبد الجواد خلف، الطبعة الأولى، دار البيان، القاهرة ١٩٩٢م.

٤ـ الدر المنثور فى التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطى، طبعة بيروت ـ دار الكتب العلمية.

٥ـ المعارف، لابن قتيبة الدنيورى، طبعة دار المعارف، مصر .

٦ ـ غرر التبيان فيمن لم يسم فى القرآن ، القاضى بدر الدين بن جماعة، الطبعة الأولى، دار قتيبة، دمشق.

٧ـ الموافقات في أصول الأحكام للشاطبي

فهرس الموضوعات

الموضـــــوع	الصفحة
مقدمة:	١٤٥
توطئة:	١٤٧
مبحث في تسمية السورة	١٤٧
مبحث في مكان النزول	١٤٩
مبحث في ضوابط القرآن المكي وخصائصه	١٥١
أولاً: ضوابط القرآن المكي	١٥١
ثانيًا: خصائص القرآن المكي ومميزاته	١٥٦
مبحث في ضوابط وخصائص سورة الأنبياء	١٥٧
مبحث في مناسبة سورة الأنبياء لما قبلها	١٦٣
مبحث في موضوع سورة الأنبياء	١٦٦
(١) داء الكفر وعلاجه	١٦٩
(٢) نوع العلاج الذي قدمته السورة	١٧٦
أولا: الدلائل الكونية.	١٧٧
ثانيًا: الشواهد التاريخية.	١٧٨
ثالثًا: خوارق العادات	١٨٢
١ ـ ٢ـ تسخير الحديد ـ تسخير الجبال	١٨٢
٣ ـ ٦ ـ تسخير الطير والريح، والشياطين، وإبطال خاصية الإحراق بالنار	١٨٣

الموضـــــوع	الصفحة
٧ ـ خرق العـادة بإبطال قدرة المرض على التـأثير في الأجسام، خرق العادة بإبطال قدرة معدة الحوت على هضم مطعومها	١٨٤
٩ ـ ١٠ـ خرق العـادة بإصلاح الرحم العقـيم، خرق عادة التناسل بواسطـة اللقاء بين ذكر وأنثى بإجـرائها بأمر الله دون ذلك.	١٨٥
رابعًا: دعوة العقل وحثه وتهييجه على النظر والتدبر	١٨٥
خامسًا: الإنذارات	١٩٠
سادسًا: البلاغات	١٩٠
(٣) طريقة تناول علاج داء الكفر	١٩١
(٤) تفاوت الجرعات العلاجية	١٩٦
(٥) **مبحث** في أن القرآن المكي أصل التشريع	١٩٧
المصادر والمراجع	١٩٨
الفهرس	٢٠٠